

الرَّسَالَة ٥٧

الصليبُ بَيْنَ الحِكْمَةِ والجَهَالَةِ!

(Arabic - The cross between wisdom and foolishness!)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: الصليبُ بَيْنَ الحِكْمَةِ والجَهَالَةِ!

ومن رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس الأصحاح الأول نقرأ العدد الثامن عشر:

"فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله!"^١

بالقرب من الميناء البحري بشمال Vancouver حيث ترسو السفن التجارية الضخمة القادمة من شتى أنحاء العالم يوجد نادي جميل متسع يُسمّى Lighthouse Harbour Seamen Centre لاستقبال البحارة لقضاء وقت طيب برىء.. وتتوفر في النادي الألعاب والمسلّيات وبعض المشروبات بلا مقابل.. وتتوفر أيضاً مكتبة وجهاز فيديو وأشرطة مسجلة.. كما توجد سيارة كبيرة لنقل البحارة من سفنهم إلى النادي والعودة بهم إليها.. والهدف الرئيسي من إقامة ذلك النادي هو جذب البحارة إلى مكان يستمتعون فيه بممارسة أنشطة بدنية مفيدة ومسلية.. وقراءة كتب متنوعة متوفرة بالنادي.. كما أنهم يستمتعون مع سائر البحارة من مختلف دول العالم بتجاذب أطراف الحديث المتنوع.. ويمكنهم إجراء مكالمات تليفونية مع ذويهم في الخارج بأجر ضئيل.. وقضاء وقت ممتع برىء بعيداً عن صخب المدينة.. فلا تنزلق أقدامهم إلى أماكن الفساد بها حيث المتع غير البريئة في الملاهي والحانات وغيرها من الموبقات في قلب المدينة.. ويدير هذا النادي منطوعون ويُنفق عليه مُتبرعون.

وبالاطلاع على دفتر الزيارات الذي يحمل أسماء مئات من البحارة الذين يرتادون هذا النادي تستطيع أن تدرك مدى فائدة ذلك النادي.. الذي يؤمه البحارة كلما رست سفنهم عند ميناء تلك المدينة السياحية فيستريحون فيها ويستمتعون بعد عناء الشهور التي يقضونها عبر المحيط حيث لا تقع عُيونهم خلالها إلا على مياه المحيطات الصاخبة والنجوم والكواكب المتألثة في كبد السماء.. ذهبت يوماً برفقة بعض الأحياء إلى سطح سفينة راسية بالميناء.. وضمنتني جلسة شيقة مع بعض بحارة السفينة.. كان استقبالهم لنا جميلاً وتحدث كبيرهم عن لقاء تم في اليوم السابق لبعض بحارة السفينة مع بعض أعضاء النادي المنطوعين الذين قاموا بزيارتهم بالسفينة ا وقدموا لهم شريط فيديو عن حياة السيد المسيح.. وبعد أن أنهى حديثه عن الفيلم بادرنا بتوجيه هذا السؤال: ألم تلاحظوا الخطأ الذي وقع فيه المخرج في نهاية فيلم حياة السيد المسيح؟!.. أجبتة بلا!

قال: لقد استمتعنا بكل ما جاء في شريط الفيديو.. استمتعنا بالأحداث التاريخية لحياة السيد المسيح التي عاشها على الأرض.. وتعاليمه الصالحة ومعجزات شفاء المرضى وإقامة الموتى.. ونحن نؤمن بكل ما ورد بالفيلم من حقائق.. ولكن يبدو أن مخرج الفيلم أضاف شيئاً من خياله كي يجعل من قصة حياة السيد المسيح دراما مؤلمة.. وأظن أن المخرج لم يراع الأمانة التاريخية.. فالسيد المسيح لم يُصلب ولكنه رُفِع إلى السماء.. لست أقصد بما قلت أن الشريط لم يعجبني بل على العكس لقد أعجبني.. فالتمثيل بديع والجهود المبذولة في إخراجه أكثر من رائعة.. وقد قررنا نحن البحارة أن نطبع عدة نسخ لنعود بها إلى بلادنا.. ولكن سؤالي الذي أرجو أن تجيبني عليه هو: هل تصدق أنت أن المسيح صُلب؟!.. لماذا يقبل المسيحيون أن تنتهي حياة المسيح بصليب؟!..

وأخذ البحار يُعَدِّد الأدلة على أن السيد المسيح لم يُصلب بل رُفِع إلى السماء.. فأجبتة: ما جئت لأتحدث في هذا الموضوع.. ولكنني أرى من الأفضل أن أجيبك على سؤالك.. ففي الحقيقة أنا أصدق أن المسيح صُلب.. وأنه مات ودُفن وفي اليوم الثالث قام ثم صعد إلى السماء كما قلت.. وقبل صعوده رآه كثيرون حسب المكتوب بالإنجيل.. وقدمت إليه إنجيلاً.. ثم بعد ذلك قلت له: بناءً على ما تقول يبدو كأن الله خدع اليهود والرومان الذين حكموا عليه بالصليب.. وأن المصلوب كان آخر وليس المسيح.. أيمنك تصور أن الله خدع أيضاً القديسة العذراء

مريم؟! تركها تتحب تحت الصليب ويتمزق قلبها من أجل ابنها المصلوب وهي لا تعلم أن المصلوب آخر كما تقول وليس ابنها؟! أنظن أنه كان عسيرا على القديسة مريم أن تميز ابنها الذي كان يخاطبها وهو يُعاني آلام الصليب؟! أكان عسيرا على يوحنا تلميذه أيضا أن يميزه وهو يخاطبه؟! ألا تعلم أنه كان يخاطب الأب السماوي طالبا المغفرة لمن صلبوه؟! كل هذا حدث عند الصليب والقديسة العذراء لا تميز إن كان هذا ابنها يسوع أم غيره؟! كيف يخدم الله تلاميذ المسيح ولأمد طويل؟! ويترك هؤلاء الأبرياء مكدوعين يبشرون بالإنجيل ويواجهون تعسف اليهود وغير اليهود والاضطهاد والرجم والقتل وهم يعلنون أن المسيح صلب من أجل فداء البشرية.. وأنه حي وقد ظهر لهم ورأوه فعلا وقد أكل معهم وتحدث عدة مرات بعد قيامته وقد لمسوه بأيدهم؟!^١

أيمكنك تصور أن الله عز وجل يسمخ لنفسه أن يخفي الحقيقة عن ملايين المسيحيين على مدى ستمائة عام. ثم يعلنها بعد ذلك وليس للتلاميذ والرسل!. وليس في أورشليم حيث صلب المسيح!. وليس لواحد من المؤمنين الأتقياء عبر العصور!. بل في بقعة أخرى!. ولأناس معظمهم كانوا يتعدون للأصنام!. وبلغت تختلف عن اللغة التي كتبت بها التوراة والزابور!. وبلغت تختلف عن اللغة التي كتبت بها الإنجيل!. مع ما يستلزمه ذلك من وقتٍ للترجمة والنشر باللغات العالمية المنتشرة في ذلك العصر.. هل ذلك منطق معقول؟! لنحكم ضمائرنا.

لماذا يخدم الله اليهود والرومان ويضع على الصليب آخر غير السيد المسيح؟! أوليس التاريخ شاهداً عبر العصور على طرق الله العجيبة التي بها أنقذ الله كثيرين من الأتقياء والأنبياء والمرسلين؟! من يصدق أن الله يستخدم أسلوب المغالطة والخداع وهو إله المعجزات؟! أحي العزيز. إن الحقيقة هي أن المسيح صلب كما هو مؤون بالإنجيل. فبدون الصليب لا رجاء في غفران للخطايا. بل هلاك أبدي في نار معدة لإبليس وملائكته. لأنه ليس من بار. ليس ولا واحد. بل كلنا ضللنا. فعلنا الشر وعوجنا المستقيم. والرب افتقدنا بخلاصه العجيب المعلن بالكتاب المقدس.. إذ وضع على الابن الوحيد إثم جميعنا وهو معلق على صليب الجلجثة.

إن الحقيقة التي يعلنها الكتاب المقدس هي أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة.. ومن رحمة الله على البشرية التي أحبها أن جعل يسوع المسيح فدية ودمه كفارة.. فدم الضحية ينوب عن دم المضحى من أجله.. ففي الدم تتمثل الحياة.. ولا بد من تقديم حياة من أجل حياة.. و من يدفع ديناً عليك فأنت قد دفعت.. ولن تطالب به بعد.. و من يتحمل عنك عقاباً.. فأنت قد عوقبت ولن يحكم عليك بعقاب. ومن يصلب من أجلك ويموت.. فأنت قد صلبت بصلبه ومات بموته وقمت بقيامته.. وليس عليك حكم الموت بعد.. فأنت حي بحياة من وهبك الحياة بموته النياي عنك.. هذه هي رسالة الإنجيل التي يتجاهلها كثيرون فيعرضون أنفسهم للهلاك الأبدى في جهنم.

إن الإيمان بقوة الله الممثلة فيما تم على الصليب للخلاص ليس بإقناع بشري.. بل هو بإعلان إلهي.^٢ للنفس الساعية بإخلاص للحصول على البر والخلاص من الهلاك الأبدى والتمتع بالحياة الأبدية. إن البر الحقيقي ليس من أعمال. بل هو نعمة مجانية من الله توهب للإنسان حينما يأتي بإيمان وثقة في كلام الله المعلن بالإنجيل قال بولس الرسول في رسالته إلى مؤمنى أفسس: لانكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. بروح طيبة استمع البحارة إلى الحديث. وعند نهايته قبل كل منيهم نسخة من الإنجيل. وانشينا أمام الله ورقعت قلبي في صلاة داعياً لهم بسلامة الرحلة. وشكرت الرب لعظم محبته وعنايته بنا. وعند العودة اصطحبنا بعضهم في السيارة الخاصة إلى النادي وهناك قضينا معهم وقتاً طيباً.^٣

أحي.. لقد قال بولس الرسول: وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم.. إن حاجتنا هي لدم الصليب للتطهير^٤. فليتك أحي تصلى معي: أبانا السماوي.. أشكرك من أجل صليب ربنا يسوع.. أسألك إلهي أن تطهرني بالدم المسفوك على الصليب من أجل فدائي.. يا من أحببتني إلى المنتهى.. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار فلقد وعدت صادقاً بقولك: من يقبل إلي لا أخرجهُ خارجاً.

أحي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل متى الأصحاح ٢٨ ، إنجيل مرقس الأصحاح ١٦ ، إنجيل لوقا الأصحاح ٢٤ ، إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٠ - ٢١

^٢ إنجيل متى ١١: ٢٧ & ١٦: ١٧ ، إنجيل مرقس ٤: ٢٢ ، إنجيل لوقا ١٠: ٢٢ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ١: ١١

^٣ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١: ١٨ ، إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨ - ١٠

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ١٥: ١ - ٩ ، مؤمنى غلاطية ٦: ١٤ ، رسالة يوحنا الأولى ١: ٥ - ١٠ & ٢: ١